بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المدثر

سورة مكية، تبدأ بقوله تبارك وتعالىٰ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾

نداء من المولىٰ للحبيب ﷺ، يعقبه **ستة تكاليف:**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ أي: المتدثر المتلفف بثيابه، حين نزول الوحي إليه، هيبة له وخوفًا منه، وهذه **التكاليف الستة هي:**

التكليف الأول: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ ابدأ، وبلِّغ أهل مكة بالإسلام، وخوِّفهم من عذابي إذا لم يؤمنوا، فأنت رسولي إلىٰ العالمين.

التكليف الثاني: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: فعظِّم؛ حيث لا عظيم سواه.

التكليف الثالث: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: كن طاهر الفعل والقول، والظاهر والباطن.

التكليف الرابع: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ أي: اترك الأصنام والمعاصي.

التكليف الخامس: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ أي: كن علىٰ أجمل الأخلاق، وأفضل الآداب.

التكليف السادس: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ أي: اجعل صبرك علىٰ ما تلاقيه من الأذىٰ في سبيل دعوتك خالصًا لوجه الله، واصبر كذلك علىٰ امتثال الأوامر والنواهي التي تُكلَّف بها.

obeikandl.com

ولكن، لماذا تنذر الناس عذابي؟ لأنه:

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾

يعني ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ أي: نفخ في الصور النفخة الثانية، وهي نفخة البعث، ﴿فَذَٰلِكَ﴾ الوقت ﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ شديد الأهوال.

وهو ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ لا تيسر لهم من العسر فيه.

وقد قام النبي ﷺ بهذه التكاليف، وبلَّغ الدعوة، وأنذر وخوَّف من عذاب الله!! ووجد الصدود والعناد والإيذاء من قومه!! فأنزل الله تعالىٰ عليه قوله:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾

يعني اترك لي هذا الكافر العنيد، الذي أنعمت عليه بالكثير، وما يزال يطمع في المزيد!! ومع أنه: كفر، وعاند آياتنا، وقال علىٰ وحينا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۞ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ علىٰ أية حال: اتركه لي ﴿سَأُصْلِيهِ﴾ سأدخله ﴿سَقَرَ﴾، وما هي سقر؟

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾

نعم، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾!! إنها جهنم، وهي ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ لمن فيها لحمًا ولا عظماً، ولا عصبًا، فهي تحرقه، ثم يعود كما كان، ثم تحرقه، وهكذا...

إنها أيضًا ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ تلفح الجلود بلهيبها لفحاً، فتحرقها حرقًا.

إنها ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ أي: خزنتها الموكلون عليها.

وكأن سائلًا يسأل!! ما هؤلاء التسعة عشر؟ ولم كانوا تسعة عشر فقط؟

فيكون الجواب:

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

أصحاب النار هؤلاء: هم خزنتها، وهم ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وقد جعلنا عددهم تسعة عشر ﴿فِتْنَةً﴾ أي: اختباراً للناس.

أولًا: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أنَّ محمدًا صادق، وذلك: لتطابق ما نزل عليه لمَا في الكتب السابقة التي يعرفونها؛ في أن الملائكة تسعة عشر.

ثانيًا: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ منهم ﴿إِيمَٰنًا﴾ أي: تصديقًا بالنبي ﷺ.

ثالثًا: ﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ ولا يشك ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ من غير أهل الكتاب في شأن هذا القرآن، وصِدْق ما فيه.

رابعًا: ﴿وَلِيَقُولَ﴾ في المستقبل ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: نفاق ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ كذلك ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾؟ منكرين أنه من عند الله، بل مستهزئين به.

كذلك، الإضلال والهداية:

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ من عباده، وهم الذين علم منهم اختيار الضلال وساروا بالفعل في طريقه، ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ من عباده، وهم الذين علم منهم اختيار الهوىٰ، وساروا بالفعل في طريقه؛ أما بالنسبة للملائكة هؤلاء، وعددهم، فنقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ عددًا، أو أنواعًا ﴿إِلَّا هُوَ﴾ سبحانه، وأما بالنسبة لهذه الآية التي بيَّنت ذلك، فنقول: ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾ وموعظة وتنبيهًا ﴿لِلْبَشَرِ﴾ كي يعقلوا، ويؤمنوا.

ثم يحض الله الناس علىٰ قبول هذا الإنذار، والتأثُّر بهذا التخويف، فيقول سبحانه:

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ إنهم لا يتذكرون، ولا ينتفعون بهذه المواعظ، ﴿... وَٱلْقَمَرِ ❊ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ أي: ذهب، ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ طلع وأنار!! وكل هذا قسم.

والجواب: ﴿إِنَّهَا﴾ أي: سقر ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ أي: المصائب العظام، أخبر بها محمد ﷺ، وكان ﴿نَذِيرًا﴾ بها ﴿لِّلْبَشَرِ﴾ كلهم.

علىٰ أية حال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ أيها البشر ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ إلىٰ الإيمان، ثم إلىٰ الجنة ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ عن الإيمان، ثم يكن مصيره إلىٰ سقر.

حيث إنه ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من شر ﴿رَهِينَةٌ﴾ أي مربوطة بعملها يوم القيامة، ومأخوذة به إلىٰ النار.

ولكن هل كل الناس كذلك؟ لا، يقول الحق سبحانه:

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾

نعم ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ فهم ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾

ولكن عن أي شيء يتساءلون؟ يقول تعالىٰ:

﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

يعني ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ عن المجرمين وأحوالهم، وماذا جرىٰ لهم. فيرونهم فيقولون لهم:

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾

أي: ما الذي أدخلكم في سقر؟ أي: جهنم.

فيكون جواب المجرمين علىٰ هذا السؤال:

﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾

أي: ﴿قَالُوا﴾ متحسِّرين، معترفين بخيبتهم:

أولًا: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ﴾ المسلمين، نصلي لله مع ﴿الْمُصَلِّينَ﴾.

ثانيًا: ﴿لَمْ نَكُ﴾ نحسن إلىٰ خلق الله، و ﴿نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾.

ثالثًا: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾ في آيات الله وشرعه ﴿مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ المكذبين بها، المنكرين لها.

رابعًا: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ فلا نؤمن ببعث، ولا حساب، ولا جزاء، ولا جنة ولا نار.

كل ذلك: كنا مصرين عليه ﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ وهو الموت، لذلك: فنحن فيما ترون من العذاب.

وكأنهم قالوا للمسلمين: فهل من شافع لنا عندكم، يخرجنا أو يخفف عنا ما نحن فيه؟ فكان الجواب من رب العالمين:

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾

يعني: لا شفاعة لهم.

وهكذا أصبحت الأمور كلها واضحة، ومازال الكفار ـ بالرغم من هذا التذكير ـ يتبجحون!!

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾

أي: ما الذي جعلهم ﴿عَنِ﴾ هذه ﴿التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ يفرُّون منها ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ أي: وحشية ﴿فَرَّتْ﴾ هاربة خوفًا ﴿مِن قَسْوَرَةٍ﴾ وهو الأسد.

إن هؤلاء: لا ينقصهم الدليل ليؤمنوا، وليتعظوا، إنما هو العناد والتكبر:

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾

إن كل واحد من هؤلاء الكفار: يريد أن يُنزَّل عليه كتاب من الله، ويكون مفتوحًا يقرؤه الجميع، كما أُنزِل علىٰ محمد ﷺ.

فهل يعطىٰ أي واحد منهم ما طلب عنادًا؟

﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿كَلَّا ۖ﴾ لن ينالوا ما يريدون عنادًا !! حيث إنهم ﴿لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ ولذلك يقولون ما يقولون!!

﴿كَلَّآ﴾ حقًّا ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ ۖ﴾ كافية لمن أراد الإيمان والموعظة.

لذلك: ﴿فَمَن شَآءَ﴾ الهداية ﴿ذَكَرَهُۥ﴾ وانتفع به.

علىٰ كل حال: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ ولا ينتفعون ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ لهم ذلك، و ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ ينبغي أن يتقيه مَن أراد الهداية، ﴿و﴾ هو سبحانه ﴿أَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ ينبغي أن يطلبها منه مَن أراد الرضوان.

* * *

obeikandl.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة القيامة

سورة مكية: وهي تبدأ بقوله عز وجل:

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾

هذان قسمان جوابهما محذوف، تقديره: لتبعثن.

والمعنىٰ: أقسم بيوم القيامة، وأقسم بالنفس اللوامة أن البعث للحساب والجزاء حق.

ويوم القيامة: معروف.

والنفس اللوامة: هي النفس التقية، التي تلوم نفسها علىٰ التقصير في طاعة الله.

ثم تبدأ الآيات في توبيخ الكفار الذين ينكرون هذا البعث، فيقول الحق سبحانه:

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾

أيظن هذا ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر المنكر للبعث، ولا يلوم نفسه: أنَّا لا نقدر علىٰ جمع عظامه، وإحيائه بعد الموت، وبعثه؟

﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾

أي: نحن قادرون علىٰ جمع عظامه، وإحيائه، وبعثه بل أكثر من هذا، وهو تسوية أصابعه، كما كانت في الدنيا.

ولكن!! ما الذي يدفعه لهذا الإنكار ليوم القيامة؟ الجواب:

obeikandl.com

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾

يعني ليدوم على فجوره، ويستمر على فسوقه وعصيانه، ولا يضبط نفسه بميزان شرع أو تعليمات وحي.

لذلك: تراه وهو في فجوره واستهتاره:

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦﴾

وهو: سؤال استبعاد وإنكار، وليس سؤال تعلُّم ورغبة في الاستعداد للإيمان والعمل الصالح.

ويظل هذا العاصي: في استهتاره، ولهوه، وانشغاله:

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠﴾

أي: ﴿فَإِذَا﴾ قامت القيامة: ﴿بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ زاغ من شدة الأهوال.

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ ذهب ضوؤه.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ طويا معاً، وأصبحا كتلة واحدة في قبضة الملِك العلَّام ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] سبحانه وتعالى، وعندها ﴿يَقُولُ﴾ هذا ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر ﴿يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ والمهرب من هذه الأهوال الجسام؟

ويكون الجواب:

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾

﴿كَلَّا﴾ أبداً ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا مفر له، ولا مهرب من هذا الهول.

حيث إنه ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ فإمَّا إلى جنة أبدًا، وإمَّا إلى نار أبدًا.

كما أنه ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ ويعرّف ويُكشف له ﴿يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ من عمل،

صغيرًا كان أو كبيرًا، وكل ذلك: مدون في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلَّا أحصاها، ولذلك: لا يحتاج الأمر إلىٰ شهود.

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ وعمله، ﴿بَصِيرَةٌ﴾ حجة ودليل.

ولا يُقبل منه أية اعتذارات ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ وتعلَّل بها لينقذ نفسه، فلن يحميه هذا من العذاب.

إن القرآن العظيم هو الذي جاء فيه الكلام علىٰ يوم القيامة، وقضية البعث، هذا القرآن يعلِّم ربنا عز وجل فيه النبي ﷺ كيف يتلقاه حين أوحي به إليه، فيقول له:

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن ﴿لِسَانَكَ﴾ سريعًا ﴿لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ حفظًا خلال الوحي به إليك؛ خوفًا من تفلُّته منك.

وكن مطمئنًا، حيث ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أي: جريانه علىٰ لسانك بسهولة ويسر، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ عليك، ويسَّرناه لك بقراءة جبريل ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي: فاستمع إلى قراءته عليك.

﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك الاستماع الجيد منك ﴿عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ بالتفهيم لك، والتوضيح لما أشكل عليك من معانيه.

ثم يبيِّن الله عز وجل سبب هجر القرآن، وإهمال تعاليمه، فيقول جل شأنه:

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ لا ينبغي منكم إهمال القرآن، وترك العمل بتكاليفه، ﴿بَلْ﴾ أنتم ﴿تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ وتنشغلون بها.

﴿و﴾ لذلك ﴿تذرون﴾ تتركون ﴿ٱلْءَاخِرَةَ﴾ ولا تستعدون لها.

أيها الناس.!! آمنوا بالقرآن، ولا تنكروا البعث، واستعدوا بالعمل الصالح للآخرة، حيث إنه في يوم القيامة تكون:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

نعم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ حسنة مشرقة مسرورة، والسبب أنها ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تراه عينًا، سبحانه وتعالىٰ.

﴿و﴾ هناك ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ عابسة كالحة ﴿تَظُنُّ﴾ أي: توقن ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ داهية عظيمة تقصم فقرات الظهر.

ثم يذكِّر الله الإنسان بلحظات الموت، فيقول الحق سبحانه:

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ لا ينبغي منكم إهمال القرآن، أو إنكار البعث، أو عدم الاستعداد ليوم القيامة، وتذكروا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح ﴿التَّرَاقِيَ﴾ عظام الحلق، وذلك في حالة النزع الأخير.

﴿و﴾ حينها ﴿قِيلَ﴾ ممن حوله ﴿مَنْ ۜ رَاقٍ﴾ له، يرقيه مما به، ويذهبِ عنه ما يعاني من سكرات الموت، أو قيل من الملائكة: من راق، يصعد ويرقىٰ بروحه؟ ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب؟

﴿وَظَنَّ﴾ أيقن هذا الذي يموت ﴿أَنَّهُ﴾ أي: الذي يعاينه هو ﴿الْفِرَاقُ﴾ للدنيا، التي يحبها، والتي انشغل بها.

وفي هذه الساعة: ﴿الْتَفَّتِ السَّاقُ﴾ منه ﴿بِالسَّاقِ﴾ ولُفَّت في الأكفان، ونزل به البلاء، واشتدت الأهوال.

نعم ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ المرجع والمصير، وحكم ربك الذي تستحقه.

يقول ربنا عن الإنسان الكافر الذي يستبعد ألن نجمع عظامه، وينكر البعث، ولا يستعد للقاء الله:

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾

أي: ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ هذا الإنسان بالله والرسول واليوم الآخر ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ لله في حياته.

﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ ولم يؤمن بالله ورسله واليوم الآخر ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الهداية، والطريق المستقيم.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ في خيلاء، غير مبال بشيء، كأنه لم يخلق للعبادة، والقيام بمهمة وأداء الأمانة.

وهذا يقال له يوم القيامة:

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾

أي: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ أن كنت تلقانا في هذا اليوم بالإيمان والعمل الصالح ﴿فَأَوْلَىٰ﴾، ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ﴾ ما تلقاه من العذاب والنكال بسبب تكذيبك وعصيانك ﴿فَأَوْلَىٰ﴾.

ويكون سؤال التوبيخ لكل كافر:

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾

يعني أيظن هذا الكافر أنه خُلِق عبثًا، وسوف ﴿يُتْرَكَ سُدًى﴾ في الدنيا بلا تكليف، وبعد الموت بلا بعث وحساب.

كلا، فهو مخلوق لغاية، وهو مُكَّلف، وسوف يُبعث ويُسأل؛ لأنَّ له إلٰهًا قادرًا حكيمًا:

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

على العاقل أن يتفكر ويجيب: ﴿أَلَمْ يَكُ﴾ هذا الإنسان ﴿نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾؟

﴿ثُمَّ كَانَ﴾ بعد ذلك ﴿عَلَقَةً فَخَلَقَ﴾ الله منها بشراً ﴿فَسَوَّىٰ﴾ هذا المخلوق، ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾؟ [السجدة: ٩]

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ بعد هذا الخلق ﴿ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾؟

أخبروني أيها البشر: ﴿أَلَيْسَ﴾ فاعل ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ مرة أخرىٰ، ويعيدهم للحساب والجزاء؟

الجواب.. بلىٰ وألف بلىٰ، إنه عز وجل قادر.

إذن آمنوا أيها الناس، واستعدوا للقائه بالعمل الصالح، الذي يرضيه عز وجل، ويصلح البلاد، ويسعد العباد.

* * *

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الإنسان

سورة مكية، وهي تبدأ بقوله سبحانه:

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾

نعم، ﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ جنس الإنسان ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ لا يعلمه إلَّا الله ﴿لَمْ يَكُن﴾ فيه هذا الإنسان ﴿شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ مطلقاً، في أفراده، ونوعه.

ثم ﴿إِنَّا خَلَقْنَا﴾ بقدرتنا هذا ﴿ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة، ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ بالأوامر والنواهي، لهذا ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، ثم ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ﴾ عرَّفناه ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ المستقيم؛ لنرىٰ ﴿إِمَّا﴾ أن يستقيم، ويكون ﴿شَاكِرًا﴾، ﴿وَإِمَّا﴾ أن ينحرف، ويكون ﴿كَفُورًا﴾ مبالغاً في كفره.

فإذا ما انحرف الإنسان عن الطريق المستقيم، وصار كفوراً، ففي هذه الحالة:

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾

أي: هيأنا لهؤلاء الكافرين ﴿سَلَٰسِلَا۠﴾ يسحبون بها في النار، ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ في أعناقهم تربط فيها السلاسل، ﴿وَسَعِيرًا﴾ نارًا مسعرة، يعذبون فيها.

وأما إذا استقام الإنسان، وصار شكوراً لربه، ففي هذه الحالة يكون المستقيمون أبرارًا،

وجزاؤهم ما يلي:

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾

إنَّ هذا لَنعيمٌ تهفو له القلوب. وأكثر من هذا النعيم أنه يقال لهم:

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

ثم يبيِّن المولىٰ أن الهداية علىٰ الطريق المستقيم: تكون بالقرآن الكريم، الذي مَن خالفه: كان كفورًا، والذي مَن اتبعه: كان شكورًا، فقال سبحانه:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

أي: فصَّلناه علىٰ حسب الحوادث والوقائع، ولم ينزل جملة واحدة؛ ليسهل حفظه، وييسر العمل به، ويثبِّت به فؤادك.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾

أولًا: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: علىٰ قضائه وقدره، وتنفيذ شرعه، واعلم أن تدبيره فوق تدبيرك.

ثانيًا: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا﴾ عاصيًا مستهزئًا، غير ملتزم بشرع الله، مرتكباً

للمعاصي والآثام، فيما يدعوك إليه، وكذلك ﴿أَوْ كَفُورًا﴾ جاحدًا لشرع الله، فيما يدعوك إليه.

ثالثًا: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: في صلاة الفجر والظهر والعصر، وفي غير الصلاة في كل وقت وحين.

رابعًا: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ أي: في صلاة المغرب والعشاء.

خامسًا: ﴿وَسَبِّحْهُ﴾ تهجُّداً ﴿لَيْلًا طَوِيلًا﴾ ثلثه، أو نصفه، أو ثلثيه.

هذا عمل المهتدين بالقرآن الكريم، أما المفتونون بالدنيا، المقبلون عليها، التاركون لعمل الصالحات، المنكرون لشرع الله، الكافرون به سبحانه، فهؤلاء يقول عنهم ربنا:

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾

نعم ﴿يُحِبُّونَ﴾ هذه الدنيا ﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾ الفانية، وينشغلون بزخرفها ويفضِّلونها على الباقية بنعيمها الدائم، ﴿و﴾ أيضًا ﴿يَذَرُونَ﴾ ويهملون ﴿وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ ينتظرهم، وسيلاقون فيه الأهوال.

هل نسي هؤلاء أنَّا:

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

أي: ﴿نَّحْنُ﴾ الذين ﴿خَلَقْنَٰهُمْ﴾ بقدرتنا ﴿وَشَدَدْنَا﴾ أي أحكمنا ﴿أَسْرَهُمْ ۖ﴾ خلقهم، أولًا؟ ﴿و﴾ أيضًا نحن ﴿إِذَا شِئْنَا﴾ أهلكناهم، و ﴿بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ في الخلقة والإيجاد ﴿تَبْدِيلًا﴾ ..؟

فلم إذن لا يؤمنون؟ على أية حال:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة لمن ينتفع بها، لذلك: ﴿فَمَن شَآءَ﴾ النفع بها والهداية ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ﴾ مرضاة ﴿رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ بالتقُّرب إليه بالطاعات، واتباع رسوله ﷺ.

واعلموا جيدًا أنه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الهداية، وتهتدون ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذلك لكم؛ لأنَّ كل شيء بإرادته!! فما شاء سبحانه كان، وما لم يشأ لم يكن، وعلىٰ هذا: فهو الذي يختار مَن يهتدي فيهديه، ومَن لا يستحق فلا يهديه، حيث ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، فهو الذي ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ فيهديهم، ويدخلهم الجنة، فضلًا منه تبارك وتعالىٰ، وهو الذي يمنع مَن يشاء من رحمته فلا يهديه، ويدخله جهنم، وهم الظالمون، إذْ يقول عز وجل: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ عدلًا منه سبحانه وتعالىٰ.

* * *

obeikandl.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المرسلات

سورة مكية، تبدأ بقوله تعالىٰ:

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾﴾

هذا قسم من الله تعالىٰ علىٰ وقوع البعث والعذاب للكافرين، حيث أقسم سبحانه بالرياح قائلًا: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ وهي المتتابعة، العاصفة الشديدة الهبوب ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾، ثم أقسم تبارك وتعالىٰ بالملائكة قائلًا: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ﴾ للشرع بين أهل الأرض ﴿نَشْرًا﴾، ﴿فَالْفَارِقَاتِ﴾ بين الحق والباطل بما تأتي به ﴿فَرْقًا﴾، ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ﴾ إلىٰ الرسل وحيًا فيه للخلق ﴿ذِكْرًا﴾، كل ذلك ﴿عُذْرًا﴾ للخلق وقطعاً لعللهم في عدم الطاعة ﴿أَوْ نُذْرًا﴾ فيه تخويف لهم من العقبات.

وجواب كل هذا القسم العظيم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ به من البعث والحساب والجزاء ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لا محالة، فآمنوا، وأطيعوا، واستعدوا لهذا اليوم إن كنتم عقلاء.

وإن هذا اليوم رهيب:

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾﴾

أي: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ﴾ في هذا اليوم ﴿طُمِسَتْ﴾ وذهب ضوؤها، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ

﴿فُرِجَتْ﴾ وتشققت، وكانت أبوابًا، ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ وصارت هباءً منثورًا!! إذا حدث هذا: لرأينا هولًا فظيعًا.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾﴾

يعني: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ عرفتِ الوقت الذي تشهد فيه علىٰ أممها.

وهنا يقال: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ﴾ هذا الذي ﴿أُجِّلَتْ﴾ وتأخرت شهادتها علىٰ أممها؟

الجواب: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ بين الخلائق.

وكأنَّ سائلًا يسأل؛ ما يوم الفصل هذا؟ فيكون الجواب:

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾

أي: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أنت ﴿مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ هذا، إنه يوم شديد رهيب.

﴿وَيْلٌ﴾ هلاك ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في هذا اليوم ﴿لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالبعث والحساب.

ألا يتعظون فيؤمنون، فيطيعون!!

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ المكذبين؟ ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ﴾ بالمكذبين ﴿ٱلْآخِرِينَ﴾ إلىٰ يوم القيامة؟

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الفعل والإهلاك ﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ في أي زمان، وأي مكان.

حقًّا: ﴿وَيْلٌ﴾ هلاك ﴿يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بآيات الله ورسله.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم﴾ بقدرتنا ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ ضعيف، ﴿فَجَعَلْنَٰهُ﴾ بعنايتنا ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ وهو الرحم.

وذلك ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو وقت الولادة.

﴿فَقَدَرْنَا﴾ بحكمتنا هذا الأمر ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ نحن.

حقًّا: ﴿وَيْلٌ﴾ هلاك ﴿يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بوحدانية الله، وقدرته.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ﴾ بقدرتنا ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ التي تعيشون عليها ﴿كِفَاتًا﴾ جامعة لكم ﴿أَحْيَآءً﴾ على ظهرها ﴿وَأَمْوَٰتًا﴾ في باطنها؟

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ بقدرتنا جبالًا ﴿رَوَٰسِيَ﴾ على ظهرها ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ مرتفعات..؟

﴿و﴾ كذلك ﴿أَسْقَيْنَٰكُم﴾ بقدرتنا ﴿مَّآءً فُرَاتًا﴾ عذبًا؟

حقًّا: ﴿وَيْلٌ﴾ هلاك ﴿يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بوحدانيتنا وقدرتنا.

أيها المكذبون:

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ أي: سيروا ﴿إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ﴾ في الدنيا ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ من العذاب.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ أيها المكذبون ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ من دخان النار ﴿ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ من شدته، وقوة لهيبه.

هذا الظل من دخان النار ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ يقي من حر جهنم ﴿وَلَا يُغْنِى﴾ يرد شيئاً ﴿مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ الصادر عنها، ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النار التي يعذبون فيها ﴿تَرْمِى بِشَرَرٍ﴾ كبير يتطاير منها ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾ الشاهق المرتفع البناء.

هذا الشرر ﴿كَأَنَّهُۥ﴾ في لونه ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ أي: كمجموعات جِمَال مقذوفة إصْفرّ لونها من شدة السواد.

يا للهول!! اللهم نجنا من هذا العذاب.

حقًّا: ﴿وَيْلٌ﴾ أي: هلاك ﴿يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين لا يتعظون، ولا يؤمنون، ولا يطيعون.

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۞ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾

أي: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ فيه بشيء، بل تنطق جوارحهم، حيث يشهد ﴿عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠]

﴿و﴾ بعدها ﴿لا يؤذن لهم﴾ بالاعتذار ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ عن كفرهم ومعاصيهم التي ارتكبوها.

حقًّا: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بهذا اليوم.

ويقال لهم في هذا اليوم تبكيتًا وتحسيرًا:

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿هَٰذَا﴾ اليوم هو ﴿يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ بين الخلائق، وقد ﴿جَمَعْنَٰكُمْ﴾ أيها المكذبون من هذه الأمة وإلىٰ يوم القيامة، ﴿وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ المكذبين السابقين!! وسوف تحاسبون، وتعذبون جميعًا، ولا ينجو منيٍّ جبار عنيد، ولا شيطان مَريد.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ﴾ وعندكم ﴿كَيْدٌ﴾ حيلة في دفع العذاب عنكم ﴿فَكِيدُونِ﴾ أي: فافعلوا، ولن يفعلوا وسيعذبون.

حقًّا: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ جميعًا.

بعد بيان مصير المكذبين وتهديدهم به: يشرِّف ربنا المؤمنين ببيان مالهم في هذا اليوم، حيث يقول المولىٰ عز وجل:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾

نعم، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الذين آمنوا بربهم، وأطاعوا نبيهم ﴿فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ۞ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ في هذا اليوم.

ويقال لهم تكريمًا: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حيث ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وهذا جزاؤكم.

حقًّا: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ المحرومين من هذا الجزاء الطيب.

إنهم لم يحرموا من هذا الجزاء الحسن في الآخرة فقط، بل يقال لهم في الدنيا:

﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

أي ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟﴾ وأنتم في الدنيا متاعًا ﴿قَلِيلًا﴾ وزمنًا قليلًا، فمتاعها فانٍ، وزمانها قصير، والحرمان ينتظركم، والعذاب مصيركم في الحياة الدائمة، في يوم القيامة، وذلك حيث ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ كافرون؛ عاصون.

حقًّا: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين لا يتعظون.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿و﴾ كانوا في الدنيا كذلك ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟﴾ مع الراكعين ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ واسجدوا مع الساجدين لا يسجدون، وآمنوا مع المؤمنين لا يؤمنون؛ عنادًا، واستكبارًا!!

حقًّا: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين لم يستجيبوا لأوامر رب العالمين.

بعد حديث القرآن، وتوضيحه هذا:

﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

حقًّا: آمنا بالله وبما أنزل، وليس بعد بيان القرآن بيان!! وليس بعد هدى القرآن هداية!!

نسأل الله تعالىٰ أن ينفعنا به أجمعين، اللهم آمين.

* * *

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النبأ

وهي سورة مكية، تبدأ بقول ربنا عز وجل:

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾

عن ماذا يتساءل هؤلاء المكذبون المستهزؤن؟

هل يتساءلون ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وهو القرآن؟

﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ بين شاكِّين أو مُسْتيقنين في قلوبهم.

فبعضهم يقول: إنه سحر، وبعضهم يقول: إنه شعر، و ... و .... إلىٰ آخر ما يقولون.

﴿كَلَّا﴾ لقد أخطؤوا في تساؤلاتهم، وتكذيبهم، واستهزائهم وعنادهم، علىٰ كل حال: إنهم ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ عاقبة تكذيبهم هذا.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ما يحل بهم من عقاب، وينزل بهم من عذاب.

إنهم اختلفوا حول القرآن، وأنكروا ما فيه من البعث، وفاتهم: أنَّ الذي أنزله قادر علىٰ تحقيق ما جاء فيه، وما أخبر به، من بعثهم وحسابهم وعقابهم، وإلَّا فليجيبونا:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ

﴿سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾

يا سبحان الله!! مَن الذي صنع كل ذلك؟ إنَّه الله عز وجل، الذي يختلفون حول كتابه، وينكرون ما فيه، ويعاندون الرسول الذي بلَّغهم به، وما ذلك: إلَّا لأنَّهم ينكرون وحدانية الله، وينكرون قدرة الله الذي:

١ ـ جعل الأرض مِهادًا لهم، يعيشون عليها في أمان.

٢ ـ وجعل الجبال بقدرته أوتادًا لهذه الأرض، حتىٰ لا تميل وتهتز بمن عليها.

٣ ـ وخلق من كل شيء زوجين؛ لتستمر الحياة.

٤ ـ وجعل النوم سباتًا، أي: راحة لكم.

٥ ـ وجعل الليل لباسًا يستركم، وتسكنون فيه وتستريحون.

٦ ـ وجعل النهار مضيئًا، لتكتسبوا فيه معاشكم، وتؤدُّون فيه أعمالكم.

٧ ـ وبنىٰ فوقكم سبع سماوات قوية محكمة.

٨ ـ وجعل الشمس سراجًا مضيئًا لكم، وهَّاجًا بالدفء والحرارة التي تحتاجون إليها.

٩ـ وأنزل سبحانه ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ وهي السحاب ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ ينزل بشدة وكثرة، وذلك: ليخرج الله لكم به الحَبَّ والنبات والفواكه، وكل أنواع الثمار والزروع.

حقًّا: إنه سبحانه قادر، فهل يؤمنون؟ أو يظلُّون: مختلفين مكذبين!!

إن ظلُّوا: مختلفين مكذبين!! فإنَّ المولىٰ يهددهم قائلًا: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٤] عاقبة تكذيبهم ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٥].

ولكن متىٰ يكون ذلك؟ إنَّه يكون في يوم الفصل.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾

يوم الفصل: هو يوم القيامة، وهو اليوم الذي يفصِل فيه بين المكذِّبين والمصدِّقين، وهو يوم له وقت محدد، لا يعلمه إلَّا الله، وفي هذا اليوم:

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ نفخة بعث الخلائق من قبورها؛ لحضور العرض علىٰ المَلِك العلَّام، والحساب علىٰ ما سبق منها وكان، فإذا نفخ في الصور ﴿فَتَأْتُونَ﴾ أيها الناس ﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات جماعات، كل أمة مع رسولها الذي بُعث إليها...

﴿وَفُتِحَتِ﴾ حينها ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ كثيرة.

كذلك، ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ وتحركت من أماكنها وزالت من الوجود، بقدرة الله ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ لا أثر لها.

إنه يوم رهيب !! ينقسم الناس فيه إلىٰ فريقين: الطغاة، والمتقون.

ويكون مصير الطغاة كما يلي:

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾

نعم، ﴿إِنَّ﴾ الطغاة: يدخلون ﴿جَهَنَّمَ﴾ التي ﴿كَانَتْ﴾ لهم ﴿مِرْصَادًا﴾ مُعدَّة لهم، وفي انتظارهم.

ولا غرابة فهي لهؤلاء: ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ مرجعًا ومستقرًا ومقامًا.

يدخلونها، ويظلون ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ أي: ماكثين ومقيمين ﴿فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ بعد أحقاب، وأزمنةً بعد أزمنةٍ لا يخرجون منها، ولا يموتون فيها.

كما أنهم خلال هذا الخلود: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ ينفِّس عنهم حر جهنم ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ يُذهِب عطشهم.

﴿إِلَّا﴾ أي: لكن يذوقون فيها ﴿حَمِيمًا﴾ ماء حارًا تتقطع منه أمعاؤهم ﴿وَغَسَّاقًا﴾ صديد أهل النار.

كل هذا يكون لهم: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ لأعمالهم وتكذيبهم، لا ظلم فيه لهم.

والسبب في ذلك، أمران:

الأول: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ لا يخافون ﴿حِسَابًا﴾ لعدم إيمانهم بالبعث.

الثاني: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي القرآن ﴿كِذَّابًا﴾ مستمرًا، فيه إصرار وعناد.

وفاتهم أنَّ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ مما قدَّموه، واستحقوا عليه هذا العذاب ﴿أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ وسجَّلناه عليهم فيه.

لذا، يقال لهم:

﴿فَذُوقُوا﴾ هذا العذاب، ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ﴾ مهما طلبتم وصرختم ﴿إِلَّا عَذَابًا﴾ فوق هذا العذاب.

وإذا كان هذا مصير الطغاة، أعاذنا الله وإياكم منه!! فما مصير المتقين الطائعين المصدقين؟ يقول رب العالمين:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾﴾

نعم، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ فوزًا في الجنة، ونجاة من كل مكروب، وظفرًا فيها بكل محبوب.

ولهم فيها كذلك: ﴿حَدَائِقَ﴾ بساتين مثمرة ﴿وَأَعْنَابًا﴾ من كل ما يشتهون.

ولهم فيها أيضًا: ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ جواري صغيرات السن ﴿أَتْرَابًا﴾ متماثلات في العمر.

كذلك لهم في هذه الجنة: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ أي: مملوءة بكل ما يحبون شرابه.

وهم مع كل ذلك ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي في الجنات ﴿لَغْوًا﴾ من القول ﴿وَلَا كِذَّابًا﴾ في الحديث.

كل ذلك: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾

أي: فضلًا من ربك لهم، لا نهاية له، ولا انقضاء. نعم من ربك:

﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾

أي: هو عطاء لهم من القادر العظيم، ﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إنه

الرَّحْمَٰنُ سبحانه، الذي ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ إلَّا بإذنه سبحانه.

ولكن متىٰ يكون هذا؟؟ الجواب: يكون ذلك:

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾

يكون ذلك في يوم القيامة!!

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ وهو جبريل عليه السلام ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ جميعًا ﴿صَفًّا﴾ واحدًا، أمام الواحد الأحد سبحانه، وهم صامتون ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ في الشفاعة لأحد ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ منهم بالكلام، فتكلم ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ حقاً وسداداً.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾

أي: اليوم الواقع لا محالة، لذلك:

﴿فَمَن شَآءَ﴾ النجاة من أهوال هذا اليوم: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ﴾ مرضاة ﴿رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ مرجعًا بالعمل الصالح من الآن، وقبل فوات الأوان.

أيها الناس: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ﴾ أي: خوَّفناكم ﴿عَذَابًا﴾ ينزل بكم ﴿قَرِيبًا﴾ في يوم القيامة، ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ﴾ عندها إلىٰ ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من خير وشر؛ فيتحسر ويقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ حتىٰ لا أقف هذا الموقف، وأُعذَّب هذا العذاب.

اللهم نجنا من عذابك، وأعنا علىٰ طاعتك يا رب العالمين!!

* * *